ذكر قصة لوط[1] وقومه

قد ذكرنا مهاجر لوط مع إبراهيم عليه السلام إلى مصر، وعَوْدهم إلى الشام ومقام لوط بسدوم، فلما أقام بها أرسله الله[2] إلى أهلها، وكانوا أهل كفر بالله [تعالى] وركوب فاحشة، كما قال تعالى[3]: ﴿لَتَأْتُونَ[4] ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا [مِنْ] أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[1] فكان[5] قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافر إذا مرّ بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث، وهو اللواطة[6]، وأما إتيانهم المنكر في ناديهم، فقيل: كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منهم، وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم، وقيل: كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم[2].

ج١ ط/٦٧ وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله[7]/، وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم، من قطع السبيل، وركوب الفواحش، وإتيان الذكور في الأدبار، ويتوعدهم على إصرارهم، وترك التوبة بالعذاب [الأليم]، فلا يزجرهم ذلك، ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً واستعجالاً لعقاب الله[8]، إنكاراً منهم لوعيده، ويقولون له: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين، حتى ج١ أ/١٧ سأل لوط ربه[9] النصرة عليهم لما/ تطاول عليه أمرهم وتماديهم في غيهم.

فبعث الله[10]، لما أراد هلاكهم ونصر رسوله[11]، جبرائيل وملكين آخرين معه،

---

(١) سورة: العنكبوت، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وذكره أيضاً في «تفسيره»، تفسير سورة العنكبوت، الآيتان: ٢٨، ٢٩ (١١/ ١٤٥)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة العنكبوت، الآيتان: ٢٨، ٢٩ (٣/ ٤٢٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ١٥).

---

(1) في المخطوطة: لوط عليه السلام.
(2) في المخطوطة: الله تعالى.
(3) في المخطوطة: الله تعالى.
(4) في المخطوطة: أتأتون.
(5) في المخطوطة: وكان.
(6) في المخطوطة: اللواط.
(7) في المخطوطة: الله تعالى.
(8) في المخطوطة: الله تعالى.
(9) في المخطوطة: ربه تعالى.
(10) في المخطوطة: الله فيه.
(11) في المخطوطة: رسوله عليه السلام.

أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل، فأقبلوا فيما ذكر مشاة في صورة رجال، وأمرهم أن يبدأوا بإبراهيم[1] وسارة، ويبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب[١].

فلما نزلوا على إبراهيم، وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه، وكان يُضيف من نزل به، وقد وسع الله عليه الرزق، فرح بهم ورأى ضيفاً لم ير[2] مثلهم حسناً وجمالاً، فقال: لا يخدم هؤلاء القوم أحد إلا أنا بيدي. فخرج إلى أهله، فجاء بعجلٍ سمينٍ قد[3] حنّذه، أي: أنضجه، فقرّبه إليهم، فأمسكوا أيديهم عنه: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارة ﴿قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ لما عرفت من أمر الله[4] ولما تعلم من قوم لوط ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، فقالت: وصكت وجهها: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ إلى قوله: ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[٢] وكانت[5] ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن [6]عشرين ومائة[6] فلما ذهب عن إبراهيم الروعُ وجاءته البشرى ذهب يجادل جبرائيل في قوم لوط، فقال له: أرأيت إن كان فيهم خمسون من المسلمين؟ قالوا: وإن كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم؟ قال: وأربعون، قالوا: وأربعون؟ قال: وثلاثون، حتى بلغ عشرة، قالوا: وإن كان فيهم عشرة؟ قال: ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير! ثم قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[٣][٤].

ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط، فلما انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرض له

---

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه»، في كتاب: التفسير، تفسير سورة العنكبوت، الآيتان: ٢٨، ٢٩ (الحديث: ٢/ ٢٤٠)، وذكره الطبري في «تفسيره»، تفسير سورة العنكبوت، الآيتان: ٢٨، ٢٩ (١١/ ١٤٥)، وذكره أيضاً في «تاريخه» (١/ ٢٩٦)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٩٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ١٥).

(٢) سورة: هود، الآية: ٧٠ ـ ٧٣.

(٣) سورة: العنكبوت، الآية: ٣١.

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره»، تفسير سورة هود، الآية: ٧٤ (١١/ ١٤٧)، وذكره أيضاً في «تاريخه» (١/ ٢٩٧)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة هود، الآية: ٧٤ (٢/ ٤٢٣)، وذكره أيضاً في «تفسيره»، تفسير سورة العنكبوت الآية: ٣١ (٣/ ٤٦٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ٢٨٣)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٩١).

---

(1) في المخطوطة: بإبراهيم عليه السلام.
(2) في المخطوطة: ير ضيفاً.
(3) في المخطوطة: وقد.
(4) في المخطوطة: الله تعالى.
(5) في المخطوطة: كانت سارة.
(6-6) في المخطوطة: مائة وعشرين سنة.

يعمل فيها، وقد قال الله تعالى لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوطاً أربع شهادات، فأتوه فقالوا: إنا مضيفوك[1] الليلة، فانطلق بهم، فلما مشى ساعة التفت إليهم، فقال [لهم]: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر[2] الأرض إنساناً أخبث منهم، حتى قال ذلك أربع مرّات[1].

ج١/٦٨/ط وقيل: بل لقوا ابنته، فقالوا: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم/ مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم. خافت عليهم من قومها، فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت أصبح وجوهاً منهم، لئلا[3] يأخذهم قومك فيفضحوهم، وكان قومه قد نهوه أن يضيِّف رجلاً، فجاء بهم فلم يعلم[4] إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها وقالت لهم: قد نزل بنا قوم ما رأيت[5] أحسن وجوهاً منهم ولا أطيب رائحة؛ فجاءه قومُه يهرعون إليه؛ فقال: يا قوم: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[2] [فنهاهم ورغبهم، وقال:] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ﴾ مما تريدون[3] ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[4] ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5] فلما لم يقبلوا منه: ﴿قَالَ[6] لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ[7]﴾[6] يعني: لو أن لي أنصاراً أو[8] عشيرة يمنعوني منكم، فلما[9] قال ذلك وجد عليه الرسل فقالوا: إن ركنك لشديد، ولم يبعث الله نبياً إلا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته. وأغلق لوط الباب

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة العنكبوت، الآية: ٣٢ (٣/ ٤٢٣)، وذكره أيضاً في تفسير سورة هود، الآيتان: ٧٨، ٧٩ (٢/ ٤٦٩)، وذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ١٥)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٩١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ٢٨٤).

(٢) سورة: هود، الآية: ٧٨.

(٣) تقدم تخريجه سابقاً.

(٤) سورة: هود، الآية: ٧٩.

(٥) سورة: الحجر، الآية: ٧٠.

(٦) سورة: هود، الآية ٨٠.

(1) في المخطوطة: متضيفوك.

(2) في المخطوطة: أهل.

(3) في المخطوطة: لا.

(4) في المخطوطة: يعلم أحد.

(5) في المخطوطة: رأينا.

(6) في المخطوطة: قالوا.

(7) في المخطوطة: شد.

(8) في المخطوطة: و.

(9) في المخطوطة: ولما.

فعالجوه، وفتح لوط الباب فدخلوا، واستأذن جبرائيل ربه[1] في عقوبتهم، فأذن له[(١)]، فبسط جناحه، ففقأ أعينهم، وخرجوا يدوس بعضهم بعضاً عمياناً يقولون: النجاء النجاء! فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض! وقالوا للوط: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[(٢)] ﴿[وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ] وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ[2] أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[(٣)]، فأخرجهم الله إلى الشام، وقال لوط: أهلكوهم الساعة، فقالوا: لن نؤمر إلا بالصبح، ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[(٤)].

فلما كان الصبح أدخل جبرائيل[3]، وقيل: ميكائيل جناحه في أرضهم وقراهم الخمس، فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح ديكَتهم[4] ونباح كلابهم، ثم قلبها فجعل[5] عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل؛ فأهلكت من لم يكن بالقرى، وسمعت امرأة لوط الهدّة فقالت: واقوماه! فأدركها حجرٌ فقتلها.

ونجّى الله لوطاً وأهله إلا امرأته، وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف. وكان إبراهيم[6] يتشرف[7] عليها ويقول: سدوم يوماً هالك، ومدائن[8] قوم لوط خمس[9]: سدوم، وصبعة، وعمرة، ودوما، وصعوة، وسدوم هي القرية العظمى.

قوله: ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[(٥)]: هو مشي بين الهرولة والجمز/[(٦)]. ج١/٦٩/ط

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه»، في كتاب: التفسير، تفسير سورة هود، الآيات: ٧٨ ـ ٨٠ (الحديث: ٢/ ٣٤٥)، وذكره الطبري في «تفسيره»، تفسير سورة هود، الآيات: ٧٨ ـ ٨٠ (٧/ ٨٤)، وذكره أيضاً في «تاريخه» (١/ ٣٠٠)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة هود، الآيات: ٧٨ ـ ٨٠ (٢/ ٤٦٩).

(٢) سورة: هود، الآية: ٨١.

(٣) سورة: الحجر، الآية: ٦٥.

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره»، تفسير سورة هود، الآية: ٨١ (٧/ ٨٩)، وذكره أيضاً في «تاريخه» (١/ ٣٠١)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة هود، الآية: ٨١ (٢/ ٤٧٠)، وذكره أيضاً في «البداية والنهاية» (١/ ٢٨٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ١٥)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٩٢).

(٥) سورة: هود، الآية: ٧٨.

(٦) ذكره الطبري في «تفسيره»، تفسير سورة هود، الآية: ٧٨ (٧/ ٩٠)، وذكره أيضاً في «تاريخه» (١/ ٣٠٢)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة هود، الآية: ٧٨ (٢/ ٤٦٩)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٩٣).

(1) في المخطوطة: ربه تعالى.
(2) في المخطوطة: أحد إلا امرأتك واتبع أدبارهم.
(3) في المخطوطة: جبرائيل عليه السلام.
(4) في المخطوطة: ديكهم.
(5) في المخطوطة: فجعلها.
(6) في المخطوطة: إبراهيم عليه السلام.
(7) في المخطوطة: يشرف.
(8) في المخطوطة: أين.
(9) في المخطوطة: خمسة.

ذكر وفاة سارة زوج إبراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه

لا يدفع أحد من أهل العلم أن سارة توفيت بالشام، ولها مائة[1] وسبع وعشرون سنة. وقيل: إنها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان، وقيل: [عاشت] هاجر بعد سارة مدة. والصحيح أن هاجر توفيت قبل سارة، كما[2] ذكرنا في مسير/ إبراهيم إلى مكة، وهو الصحيح[3] إن شاء الله تعالى(١).

ج١ ١٧/ب

فلما ماتت سارة، تزوّج بعدها قطوراً ابنة يقطن امرأة من الكنعانيّين، فولدت له ستة نفر: يقشان، وزمران، ومدين[4] ومدان، ونشق، وسوح، وكان جميع أولاد إبراهيم[5] مع إسماعيل وإسحاق ثمانية[6] نفر، وكان إسماعيل بكره، وقيل: في عدد أولاده غير ذلك، فالبربر من ولد يقشان، وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين[7]، وقيل: تزوج [بعد قطوراً] امرأة أخرى اسمها: حجون ابنة أهير(٢).

ذكر وفاة إبراهيم وعدد ما أُنزل عليه

قيل: لما أراد الله[8] قبض روح إبراهيم[9] أرسل[10] إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم، فرآه إبراهيم وهو يطعم الناس[11] وهو شيخ كبير في الحر، فبعث إليه بحمار فركبه

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٣٠٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ٢٨٥).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٣٠٩)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٤٥).

---

(1) في المخطوطة: مائة سنة.
(2) في المخطوطة: لما.
(3) في المخطوطة: الصحيح وقيل هاجر بعد سارة مدة، والصحيح أن هاجر توفيت قبل سارة.
(4) في المخطوطة: مديان.
(5) في المخطوطة: إبراهيم عليه السلام.
(6) في المخطوطة: ستة.
(7) في المخطوطة: مديان.
(8) في المخطوطة: الله تعالى.
(9) في المخطوطة: إبراهيم عليه السلام.
(10) في المخطوطة: أرسل الله.
(11) في المخطوطة: الناس الطعام.

حتى أتاه، فجعل الشيخ يأخذ اللّقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثم يدخلها فاه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبُره، وكان إبراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت، فقال: يا شيخ ما لك تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم الكبر، قال: ابن كم أنت؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين، فقال إبراهيم: إنما بيني وبين أن أصير هكذا سنتان، اللهم اقبضني إليك! فقام الشيخ وقبض روحه، ومات وهو ابن مائتي سنة، وقيل: مائة وخمس وسبعين سنة(١).

وهذا عندي فيه نظر؛ لأن إبراهيم[1] لا يخلو[2] أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين [3]أو أكثر[3] من ذلك، فإن من عاش مائتي سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب؟ ولكن هكذا روي، ثم إنه[4] قد بلغه عمر نوح[5] ولم يصبه شيء مما رأى بذلك الرجل.

[و] روى أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «**[و] أنزل الله على إبراهيم عشر صحائف**»، قال: قلت: يا رسول الله! فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «**كانت أمثالاً كلها: أيها الملك المسلَّط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها[6] إلى بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة/ المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر**».

ج١/ ٧٠/ط

وكان فيها أمثال، [منها]: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يفكر فيها في صنع الله، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو[7] فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاده، أو مرمة لمعاشه، أو لذة في غير محرّم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شانه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلّ إلاّ فيما يعنيه(٢).

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٣١٢)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٨٥) وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ٢٦٨)، وذكره ابن عساكر في «مختصر تاريخ دمشق» (٣/ ٣٧٤).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٣١٢، ٣١٣).

---

(1) في المخطوطة: إبراهيم عليه السلام.
(2) في المخطوطة: يخ.
(3-3) في المخطوطة: وبأكثر.
(4) في المخطوطة: أن.
(5) في المخطوطة: نوح عليه السلام.
(6) في المخطوطة: بعضاً.
(7) في المخطوطة: يخلوا.

وهو أوّل من اختتن، وأوّل من أضاف الضيف، وأوّل من اتخذ السراويل، إلى غير ذلك من الأقاويل.

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم

قد ذكرنا فيما مضى سبب إسكان إسماعيل[1] الحرم، وتزوجه امرأة من جرهم، وفراقه إياها بأمر إبراهيم، ثم تزوج[2] أخرى، وهي السيدة بنت مضاض الجرهمي، وهي التي قال لها: قولي لزوجك: قد رضيت عتبة بابك، فولدت لإسماعيل اثني عشر رجلاً: نابت، وقيذار، واذيل، وميشا، ومسمع، ورما، وماش، وآزر[3]، وقطورا، وفاقس، وطميا، وقيدمان. وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون سبعاً وثلاثين ومائة سنة، ومن نابت و[4]قيذار ابني[4] إسماعيل نشر الله العرب.

وأرسله الله تعالى إلى العماليق وقبائل اليمن. وقد ينطق أولاد[5] إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت(١).

ولما حضرت إسماعيل الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق، [6]أن يزوج[6] ابنته من العيص بن إسحاق، و[7]أن يدفن[7] عند قبر أمه هاجر بالحجر(٢).

ذكر إسحاق بن إبراهيم وأولاده

قيل: ونكح إسحاق رفقاً بنت[8] بتويل فولدت له: عيص ويعقوب توأمين، وأن عيص كان أكبرهما، وكان عمر إسحاق لما ولد له ستين سنة؛ ثم نكح عيص بن إسحاق نسمة بنت عمه إسماعيل، فولدت له الروم بن عيص، وكل بني الأصفر من ولده، وزعم

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٣١٤)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٧٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٤٣).

(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٢١٤)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٨٨)، وذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٣١٤)، وذكره ابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٣٠٥).

(1) في المخطوطة: إسماعيل بن إبراهيم.
(2) في المخطوطة: تزوج امرأة.
(3) في المخطوطة: آزر ومسمع.
(4-4) في المخطوطة: قيذر بن.
(5) في المخطوطة: بأولاد.
(6-6) في المخطوطة: وزوج.
(7-7) في المخطوطة: دفن.
(8) في المخطوطة: ابنة.